14 me Année No. 702

Lundi — 16 — 12 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALHH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ محرم سنة ١٣٦٦ — ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

احذري أيتها العرب

للاستاذ محمود محمد شاكر

اليوم ، لقد أحدّ الجزّار شفرته وشمّر عن ساعديه ، وأقبل على الذبيحة يريدُ أن ينحرها نحراً فذاً ، وهى راضيةٌ عنه داعية له ، مستسلمة بين يديه ، مقرّةٌ له بأن ذَبْحها هو نجاتُها ، وأن شفرته هى كما قال الراجزُ فى دَلْوه : « قاتِلاتى وملؤُها حياتى » ! !

وبالأمس — فى سنة ١٨٨٢ — وطئت إنجلترا أرضَ مصر لتدعم ما تزعزع من أركان عرشها ، كما زعمت وزعم لها من لا يتورّع ولا يتحرّج ، ومنذ ذلك اليومِ والسكّين ماضٍ فى تمزيق أشلاء ذلك البَدَن المخدَّر بالأكاذيب وبالمغفلة وبالجهل وبالخيانة ، والذى كان يسمّى العالمَ العربى والعالم الإسلامىّ . وما مضى إلاّ قليلٌ حتى طارَتْ أشلاءُ هذا البدن بدداً متفرقة مفصّلةً ، ذهبتْ مصر وحدها ، وذهب الشامُ وَحْدَه ، وذهب العراق وحده ، وذهبت مراكش وحدها ، وذهبت طرابُلس وحدها ، وذهبت تركيا وحدها ، وقطعت عُنُق الخلافة ، وقضى الأمرُ .

واليوم يوشِكُ أن يكون ما كان بالأمس ولكن على أسلوب آخر : أن تُحْشَد هذه البِزَقُ المقطعة حَشْداً جديداً لتساق إلى يوم الحشر ، لتساق مخدَّرة بالأكاذيب وبالغفلة وبالجهل وبالخيانة مرّةً أخرى إلى الهُوّةِ المضطرمة التى لا تُبْقِى على حىٍّ ، إلى الحرب الثالثة .

* * *

هذه إنجلترا تريدُ مرّةً أخرى أن تعود بحيلها ورجالها وأعوانها وصنائعها ، وبمداوراتها وسياساتها ، لتضرب الضربة الأولى كما ضربتْها فى سنة ١٨٨٢ ، وتخضع أعناق المصريين شاهدَهم وغائبَهم لأحكام معاهدةٍ عجيبة ظاهرها فيه الرحمة (أى الدفاع عن مصر والشرق) وباطنُها من قِبَله العذاب (أى نكال الحرب الثالثة) . ولن تفرغ منها — إذا قدّرَ الله أن تفرغَ ، ولا قدّر — حتى تحملها لتدور بها على أمم العرب واحدةً بعد واحدةٍ ، لتنال منها صَكّاً مكتوباً ، بالأسلوب الإنجليزى ولا ريب ، يجعلها جميعاً فى قبضة الأسد البريطانى ليوم الحشرِ ، فعندئذ تسوقهم جميعاً كعادتها إلى الجزرة الكبرى مُقدَّمين فى الصفّ الأول ليكونوا قُرْباناً لجبّار الحروبِ ، ووقاءً للدَّمِ الإنجليزى أن يُهراق منه فى حروب الإمبراطورية البريطانية إلاّ ما لا بُدَّ منه تحيلةَ القسم وردَّ العين الحاسدة ، كما حدث فى الحرب الأولى والحرب الثانية ، حيث لم يُسْفَك

من الدم الإنجليزى إلا الأقل ، وحملت العبء كله تلك الأنعام البشرية التى جُمِعت من الأسود والأبيض ، من بقاع إفريقية وأرجاء الهند ومن نواحى هذه الإمبراطورية التى تقبّل الشمسُ مواطىء أقدامها حيثما دارت فى مَدَارها .

فاحذرى أيتها العرب ... احذرى .

إن السياسة البريطانية هى السياسة البريطانية ، أى هى الجشعُ المحتالُ الخادعُ الذى يستلُّ منك أعزَّ ما تحرصُ عليه بالشدّ والإرخاء والترغيب والترهيب والظهور والاختفاء ، حتى تنهارَ النفوسُ وتسكنَ من جَهْدٍ أو إعياء انظرى ماذا فعلت ، أو ماذا كانت تريد أن تفعلَ بمصر . شهرٌ بعد شهرٍ بعد شهرٍ والدُّنيا كلُّها من حولنا تعج عجيجاً بالمفاوضة والمعاهدة وبالأخذ والردّ ، وبالموافقة والمعارضة ، وباللين والشدة ، وبالسكينة والصخب ، حتى دارت الرؤوس على أعناقها ، وتحيّرت العيون فى حَمَاليقها ، وتشتّت منارُ الهدَى وخيفَ على صاحب الرأى أن يزول عن رأيه ، وما زالت إنجلترا تمدُّ للطامعين مدّاً وهُمْ يسبحون وراء ألفاظها الخلاّبة حتى أعيتْهم ، وكادت لهم كيداً شديداً حتى أطفأتْهم فطفئوا ، وأرادوا أن يضربوا على عقول هذه الأمة وألسنتها بالقهر والعنف والاستبداد حتى تدَعَ العقلَ واللسانَ ، وتقبلَ منهم ما أرادوا هم أن يفرضوه علينا فرضاً .

ولكن يأبى الله أن يكونَ لهذا الكيد كله قرارٌ ، فهذه الفئة التى ظنّت أنها سوف تخدعُ إنجلترا عن نيّاتها الملفّقة فى الألفاظ الكاذبة ، قد جاءها البرهان الساطعُ القاطعُ ، بأن هذه الدولة « المفاوِضة » تضع الألفاظَ على قدرِ ما تريدُ ، لا على قدر ما يريدُ مفاوضُها أن يفهم . فإذا خيّلت له نفسُه أنه فاهمٌ من النصّ ليقول لها ويبين عن فحوى ألفاظها أرسلت عليه شيئاً يردّه إلى صوابه . فبالأمس كان المفاوض المصرىّ يزعم لمصر أنه جاءها « بوحدة وادى النيل » ، وأن النصّ المتعلق بالسودان كان خيراً كلّه ، وأنّ وأنّ ... فما أصبح الصباحُ حتى طلع عليه شىء من أشياء بريطانيا يقول له : جاوزتَ حدّك فاستبْق ، وأن بريطانيا لا ترضى هذا التفسير المصنوع من جانب واحد ، وأن السودان وديعة فى اليد البريطانية ، والودائع مستردّة ، والخيانة فيها تفريطٌ لا يليقُ بالشرف البريطانى ! فنحنُ فى السودان أمناء عليه ، وان ندعَه لمصر العادية الباغية تفعل فيه ما تشاء كأنه جزء منها ! ! بل لا بُدّ لنا من أن نبقى هناك حُرّاساً حتى يبلغ السودان رشده بعد السنين التى يقتضيها بلوغه الرُّشْد ! وعندئذ يكون للسودان أن يختار بعد أن يكون قد تهيأ لحكم نفسه بنفسه .

هذه هى السياسة الصريحة المتكشفة ، وهذه هى بريطانيا على حقيقتها ، وهذه هى ألفاظها المكتوبة مفسرةً فى تصريح حاكم السودان . فليت شِعْرى ما الذى يظنُّه امرؤ فى نفسه ذرّةٌ من الإيمان بحقّ الإنسان فى الحرّية . ما الذى يظنه كائناً بعد ذلك فى تفسير نصوص المعاهدة التى يُرادُ لنا أن نرتبط بها مع هذه الإمبراطورية ؟ ومهما تكن نصوصُ المعاهدة ، ومهما يُقَلْ فى تسويغها أو تقريظها ، وسواء أكانتْ هذه المعاهدة المعروضة اليوم أم غيرُها ، فهل يحِلُّ لمصرىٍّ أو عربىٍّ أن يأمنَ على بلاده بعد هذه الخديعة التى لا تعرفُ وَرَعاً ولا حياء ؟ !

وليس هذا فحسب ، لقد قال حاكم السودان ما شاء ، فماذا كان جواب الحكومة المصرية على هذا التصريح العجيب ! كان الجواب أن ينشر رئيس الوزراء كلمة يحتج فيها على تصرف حاكم السودان ، وأنه قد تجاوز حدود وظيفته من حيث هو حاكم إدارى ، ومن حيث هو موظف مصرى بريطانى معاً ! أيكون حقاً حاكم السودان هو المسئول عن تصريحه ، وهو ينسبُ ما يقول إلى الحكومة البريطانية بلسانه ! هذا ، ومن الغفلة أن يظن ظانٌّ أن رجلا إنجليزياً يدير شيئاً من أمور هذه الامبراطورية يجرؤ أن يتكلم من ذات نفسه بالنيابة عن حكومته ويوقعها فى ورطة سياسية كهذه الورطة . إذن أفما كان أولى وأجمل وأكرم وأنبل وأشجع أن يوجه الاحتجاج رأساً إلى الذى أنطق هذا الرجل بما نطق به وأن يقال لهذه الحكومة البريطانية « المفاوضة » إنك أنت الملومة لا هذا

الرجل ! ولكن هكذا كان .

فما الذى سيكون غداً أيها الرجال المدافعون بأقلامكم وألسنتكم إذا جاءتكم لجنة الدفاع المشترك ، وجاء البريطانى ، ونطق لسانه بما لا تطيقه هذه الأمة ولا ترضى عنه ؟ أتظنون أن موقف الرجال المصريين الذين سيختارون ليكونوا أعضاء فى هذه اللجنة ممن تستطيع أن « تعمل معهم » ، سوف يكون أكرم أو أولى أو أشجع من موقف رئيس الوزارة السابق حيال تصريح حاكم السودان ؟ ستقولون كما قلتم : هذا مطعنٌ فى الضمير الوطنى المصرى ... وكلاَّ ! ليس هذا مطعناً ، فإن الرجال الذين سيختارون لهذه اللجنة سيكونون ممن « صُنِعوا على عين بريطانيا » منذ احتلت مصر فى سنة ١٨٨٢ إلى هذا اليوم . ولأن يقال إن هذا الذى نقول مطعنٌ خير من أن تُلقى مصر كلها تحت أقدام بريطانيا وفى تنُّور حروبها ، لتكون دماء أبنائها فداءً للدم البريطانى الطاهر المقدس .

* * *

أيها العرب احذرى ... احذرى هذا المصير الذى يرادُ لمصر لا قدر الله أن تصير إليه . ولئن كان هذا يومنا نحن ، فغداً يومكم ليُعرض عليكم مثل الذى عُرض علينا ، لتكون لكم « لجنة دفاع مشترك » كلجنتنا نحن ، فاحذرى أيتها العرب ، ولا تقرى بينك وبين بريطانيا معاهدة أبداً ، فإن بريطانيا تريد بجمعكم اليوم على مثل هذه المعاهدة ، كالذى أرادته بكم جميعاً يوم وطئت أقدامها أرض مصر فى سنة ١٨٨٢ ، تريد أن تمزقكم بعد أن تكونوا وقوداً لنيران الحرب الثالثة .

أيتها العرب احذرى .. فإذا كنت نازلة فى ميدان الحرب الثالثة فانزليها حرة لتموتى حرة ، ولكن لا تُلقى بفلذات الأكباد فى أتون الحرب المسعورة ، ليكونوا هناك عبيداً ويموتوا عبيداً ، كما تريد المعاهدات الإنجليزية بنا وبأبنائنا وبناتنا وأوطاننا

أيتها العرب احذرى ... لقد لبثت إنجلترا تدس لكم وعليكم وتنشىء فيكم أجيالا من الخلق صاروا لها صنائع وأعواناً ، أرادوا ذلك أو لم يريدوه ، وعرفوه أو جهلوه ، وعين إنجلترا بصيرة نفاذة فهى تختارهم وتمهد لهم ، وتحميلهم بسلطانها وبحيلتها وبتهديدها حتى ترفعهم إلى الذروة التى تجعلهم أهلا للمكانة فى بلادهم ، ثم لا تزال تعمل هنا وهناك بأنامل بصيرة قادرة متدسسة حتى يتم اختيارهم ، فيتولوا هم زمام هذه الشعوب المسكينة ، ثم تقول لهم كما قال الأول :

فعيثُ فيما يليك بغير قصدٍ فإنى عائثٌ فيما يليني

وإذا هؤلاء الساكين الذين ارتفعوا إلى غير أقدارهم ومنازلهم يكيدون لأممهم من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ، وإذا سياسة الأمم الناهضة فى أيد لا تُحسن إلا العيث والفساد ، ومصايرها على ألسنة لا تُحسن إلا التغرير والدهان والمالقة .

أيتها العرب احذرى .. ودعى المفاوضة والمعاهدة بينك وبين بريطانيا حتى ترد إليك كل حقوقك كاملة غير منقوصة ولا متهضَّمة ، فإذا فعلتْ فانظرى فى مراشدك أما إذا قال لك هؤلاء : وماذا تفعلين أيتها العرب إذا لم تفاوضى إنجلترا وتعاهديها ؟ إذا ألقوا إليك هذا السؤال العاقل الحكيم الذى يفرض عليك أن تتركى نصيباً من الحرية من أجل كواذب الآمال والوعود ، فاعلمى أن هذا التعاقل « الشديد » فسادٌ فى الطبائع التى تلقيه عليك :

يرى الجبناء أن العجزَ عقلٌ وتلك خديعةُ الطبع اللئيم

* * *

وأنتم أيها الكتاب العرب : هذه أمانة القلم تعرض اليوم عليكم ، وهى أثقل الأمانات ، فاحملوها بحقها أو دعوها بحقها ، فإن الأيام أسرع مُضياً من البرق فى حواشى الغمام . ومن حمل أمانته فعليه أن ينذر قومه قبل أن يأتى يوم لا تغنى فيه النُّذر ، وقبل أن يأتى يوم لا يردّ فيه البكاء على فائت !

محمود محمد شاكر

عدد « الرسالة » الممتاز

سيصدر بعون الله عدد « الرسالة » الممتاز في الأسبوع الأول من شهر يناير سنة ١٩٤٧